خطر الغلو فى الدين

فضيلة الشيخ الدكتور
علي بن يحيى الحدّادي
حفظه الله

miraath.net
ميراث الأنبياء
Miraath.Net
قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء وضمن سلسلة محاضراتٍ في الأمن الفكري، أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرةٍ بعنوان:

خطر الغلو في الدين

خطر الغلو في الدين

ألقاها

فضيلة الشيخ الدكتور: علي بن يحيى الحدادي

-حفظه الله تعالى-

يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر شعبان عام سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية،
في جامع الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله تعالى-.
نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فكما سمعنا عنوان هذه المحاضرة «خطر الغلو في الدين»، ولا شك أنه موضوعٌ عظيمٌ بالغ الأهمية، والحاجة ماسة إليه؛ لأن الغلو من أسباب هلاك الأمم، هلكت بسببه الأمم السابقة، وهلك بسببه كثير من هذه الأمة، نسأل الله أن يحفظنا وإياكم.

وقبل البدء في موضوع الغلو، نلفت النظر إلى أن الله -سبحانه وتعالى- اختار لنا دينًا قويمًا، وصراطًا مستقيمًا، هذا الدين الذي اختاره الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأمة دين وسط، وهذه الأمة أمة الوسط، دينٌ مبنيٌّ على اليسر وعلى السماحة، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة:١٨٥، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ الأعلى:٨.

وأخبر -جل جلاله- أنه أنزل هذا القرآن من أجل أن يسعد من آمن به، وعمل بما فيه، لا أن يشقى كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ طه ١-٢، فإذًا كتاب الله -سبحانه وتعالى- يدل إلى كل ما فيه الخير ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ ٩، فهذا

الدين دين مبني على اليسر، وعلى السماحة كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» ويقول أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ».

فإذًا ديننا دين يسر وسماحة وسهولة، ولكن هذه السماحة وهذا اليسر وهذه السهولة مضبوطة بضوابط الشرع، فما أمر الله -عز وجل- به في كتابه، وأمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته فهو الدين اليسر؛ لأن بعض الناس قد يصف الدين بالتشدد، أو يصف بعض الناس بالتشدد وهو يقصد أنهم متشددون لتمسكهم بكتاب الله وبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا تصور باطل، تصور خاطئ، فما كلَّفنا الله -عز وجل- به من التكاليف، وشرعه لنا من الشرائع، ما أحله الله وحرمه الله هذا هو الدين اليسر، فلا نتلاعب بدين الله -سبحانه- فنحل ما حرم الله بدعوى يسر الدين وسماحته وسهولته، فهذا الدين وضعه الله -عز وجل- على التوسط والاعتدال، وهذه الأمة أمة الوسطية والاعتدال، كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ال بقرة:١٤٣، أي عدولًا خيارًا، فمن تمسك بهذا الدين فهو العدل وهو الخيار، وأوسط الشيء أحسنه وأكمله وأتمه، ومن لم يكن وسطًا فإنه لابد أن يميل إلى أحد جانبين:

إما إلى الإفراط والغلو.

وإما إلى التفريط والتقصير.

والصراط المستقيم بينهما طريق معتدل مستقيم لا عوج فيه ، من انحرف عنه :

- **إما أن ينحرف إلى جهة الغلو.**

- **وإما أن ينحرف إلى جهة التفريط.**

والشيطان لا يبالي أَهَلَك العبد بالتفريط، والتقصير، والتهاون، أم هَلَكَ بالإفراط، والغلو، ومجاوزة الحد؛ لأن كلا الانحرافين يؤدي إلى النار -والعياذ بالله-، والطريق الذي يوصل إلى الجنة -بفضل الله ورحمته- هو التوسط والاعتدال، وهو لزوم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

فإذًا الدين موضوع في درجة بين الإفراط وبين التفريط، فعلى المسلم أن يحرص أن يكون ممن لزم طريق الاعتدال والتوسط، وفي الغالب كل واحد يدَّعي أنه على الطريقة الوسطى، وأنه ليس من أهل الغلو، ولكن الذي يميز بين الصادق في دعواه والكاذب في هذه الدعوى هو الميزان الذي لا يكذب كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذا الميزان العدل، وهذا الضياء الكاشف الذي يكشف الحق من الباطل في هذا الباب.

وقد وقع الغلو في الأمم السابقة ولا سيما في أهل الكتاب، وهذه الأمة من أشبه الأمم بأهل الكتاب، كما قال -صلوات الله وسلامه عليه-: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ» فإذا كانت الأمم السابقة قد وقعت في الغلو، وهذه الأمة شبيهة بها، فإذًا سيقع الغلو في هذه الأمة، بل وقع، وهو واقع اليوم ولا يزال، فإذا كان الأمر كذلك، فإذًا الواجب على المسلم أن يعرف الحق حتى يستمسك به، ويعرف الباطل حتى يجتنبه ويحذر منه.

فموضوع هذه المحاضرة لا يعالج أمرًا يوجد في الذهن والخيال، بل هو أمر واقع يجب علينا أن نعرف حكم الله فيه، حتى نحذر ونسلم.

أما عن الغلو، فالغلو في اللغة العربية: هو مجاوزة الحد، نحن نقول: غلى الماء، غلى القِدر، يعني: اشتدت عليه حرارة النار حتى فاض هذا الماء وخرج عن حد القدر، نقول: غلى السعر، يعني: ارتفع وتجاوز الحد المعروف المألوف المعقول.

ومنه في أشعار العرب قول ذي الرمة:

فما زالَ يَعْلُو حُبُّ مَيّة عندَنا ۞۞۞ ويَزْدادُ حتى لم نجِدْ ما نُزِيدُها

فالغلو في اللغة العربية معناها: الزيادة، وبالتالي فالغلو في الشريعة: هو مجاوزة الحد الشرعي، فالله -سبحانه وتعالى- حدَّ لنا حدودًا، أمرنا بأوامر، شرع لنا شرائع، وجعل لها منتهى، فمن تجاوز هذا المنتهى فقد وقع في الغلو، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة:٢٢٩، فأنت يا عبد الله، أنت مكلَّف، أنت متَّبع، تُؤمر فتمتثل، ما تخترع دينًا جديدًا من عندك، ما تخترع أحكام شرعية من عندك، إنما تقف حيث وقَفَت بك حدود الشرع.

قيل لك مثلًا: صلاة الفجر ركعتان، فلو قلت أزيد ثالثة حتى يكون أكثر في الأجر كان هذا غلو، لماذا؟ لأنك جاوزت الحد المشروع.

شُرع لك صوم رمضان، وجُعل له حدٌّ «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ» فإذا رُؤي هلال شوال، وقلت: لا، أنا سأزيد وأصوم يوم الفطر، أريد أكون أكثر أجرًا، أبالغ في العبادة، كان هذا

غلو، وكان هذا عمل مردود، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ» أي مردود على صاحبه، فالعبرة ليست بكثرة العمل، إنما العبرة بإحسان العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢، ما قال: أكثركم، إنما قال: أحسنكم عملًا، وإحسان العمل -كما نعلم جميعًا- يكون بالإخلاص لله -سبحانه وتعالى-، وبحسن المتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا الغلو قد يكون في المدح، وقد يكون في الذم، وقد يكون في الأشخاص، وقد يكون في البقاع والأمكنة، وقد يكون في العبادة، وقد يكون في الأحكام، كل هذه الأمور يدخلها الغلو.

الغلو في المدح والذم: النصارى مدحت عيسى، وبالغت في المدح حتى جعلته ابن الله، حتى جعلته ثالث ثلاثة، تمدحه، قابلهم اليهود غلوا في جانب آخر في ذمه، حتى جعلوه -والعياذ بالله- ابن زنا، فإذًا يكون الغلو في المدح وفي الذم.

ويكون الغلو في الأشخاص: بأن يُرفعوا فوق منزلتهم التي لهم، وستأتي -إن شاء الله- بعض الأمثلة.

والغلو نشأ قديمًا ليس حادثًا في هذه الأمة، بل إنه وقع في الأمم السابقة، وأول غلو كان غلو قوم نوح في الصالحين؛ ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، هذه أسماء رجال صالحين، ماتوا في وقت متقارب فحزن عليهم قومهم وجدوا ألم فقدهم، ثم قالوا لو صوَّرنا لهم تصاوير حتى إذا رأينا هذه التصاوير تذكرناهم فعملنا بمثل عملهم، زيَّن لهم الشيطان هذه الفكرة، وهو يستدرجهم إلى أمر

بعيد يهدف إليه، وضعوا هذه التماثيل ومرت أجيال ونُسي العلم، وجاء جيل ما يعرف لماذا هذه التماثيل فتساءلوا فأوحى إليهم الشيطان أن آباءكم أسلافكم كانوا يعبدونها مع الله يستسقون بها فيُسقون، يستشفون بها فيُشفون، ينزلون بها حاجاتهم فتُقضى حاجاتهم، فعبدوها مع الله -جل وعلا-، وبعث الله -عز وجل- نوحًا، وأرسله إليهم، وهو أول رسول في بني آدم بعدما طرأ الشرك، ومكث فيهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ألف سنة إلا خمسين عامًا.

ومن الغلو أيضًا: غلو اليهود في عزير ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠.

ومن الغلو: غلو النصارى في المسيح ابن مريم، عبد الله ورسوله فقالوا: إنه ابن الله، وقالوا: ثالث ثلاثة.

وقد نهاهم الله -عز وجل- عن هذا الغلو، فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ النساء:١٧١، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ المائدة: ٧٧، فنهاهم الله -عز وجل- عن الغلو، وهذا النهي لهم وهذا النهي لنا أيضًا؛ لأنه إذا كان الغلو سببًا في غضب الله -عز وجل- وفي مقته، فسواء صدر من اليهود أو من النصارى أو صدر من أحد من أفراد هذه الأمة فالحكم سواء، حرام -والعياذ بالله-.

ثم حصل في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- بدايات لبعض مظاهر الغلو، ومن ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عنده مال غنائم يقسمها بما شرع الله -عز وجل- له، وبما أراه الله

-سبحانه وتعالى- على مقتضى العدل، والأمانة، والنصح، أعطى أقوامًا يتألفهم على دين الله، ومنع آخرين وكَلَهم إلى ما في قلوبهم من الإيمان، فبعض الناس رأى هذه القسمة فلم تَرُق له، ولم تُوافق هواه، ولم تُوافق نظرته واجتهاده، وهو ذو الخويصرة، فوقف أمام النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال له: "اعدل يا رسول الله"، وفي بعض الألفاظ: "اعدل يا محمد"، انظر يأمره بالعدل، ومعنى هذا الأمر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعدل، "اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل"، وقال له أيضًا: "إنها قسمة ما أريد بها وجه الله" -والعياذ بالله-، انظر كيف يواجه النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الكلمات، وهو يرى نفسه أنه يُحسن صُنعًا، وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أغلظ له في المقالة، قال: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ثم أخبر -عليه الصلاة والسلام- أنه يخرج من ضئضئ هذا، يعني على شاكلته، الضئضئ الصُّلب، وذلك أن الولد يُشبه أباه، فشبَّه النبي -عليه الصلاة والسلام- أتباعه بأبنائه لشبههم به «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ» ما صفة هؤلاء الأقوام؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ» بمعنى أنهم يبالغون ويجتهدون في نوافل العبادات، ولكن بعد ذلك ما مصيرهم؟ قال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» مثلما يدخل السهم في جسد الطائر من جهة ويخرج من الجهة الأخرى، فهؤلاء كذلك يمرقون من الدين، يخرجون منه بسرعة كسرعة السَّهم، إلى آخر الحديث، فهذه صورة من صور الغلو، وهذا الغلو هنا في باب إنكار المنكر

حتى وصل به الأمر إلى تخوين النبي -صلى الله عليه وسلم- واتهامه بالظلم -والعياذ بالله-، وأخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن هذا الرجل هو رأس الخوارج وإمامهم وبئس الإمام!

ووقع أيضًا في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- اجتهاد في العبادة، ولكن هذا الاجتهاد قد يؤدي إلى ما لا تُحمد عُقباه، اجتهاد قد يؤدي إلى الملل وإلى الانقطاع كما حصل، ويروي أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن ثلاثة نفر- ثلاثة أشخاص- دخلوا بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- عن عبادة الرسول -صلوات ربي وسلامه عليه- في بيته، كيف -يعني- يصوم، كيف يقوم الليل، ما شأنه ما حاله حينما يُغلق عليه بابه؟ فأخبروهم، أُخبروا بعبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيته، في ليله ونهاره، قال أنس: «كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا» رأوا أنها قليلة لا تبلغ إلى مستوى طموحهم، ثم علَّلوا، اعتذروا للرسول بعذر، لماذا لم تبلغ عبادته المبلغ الذي كانوا يتوقعون ويظنون، قالوا: "إن رسول الله قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر"، يعني هذا السبب الذي جعله في نظرهم يقتصِد في العبادة عن الحدِّ الذي كانوا يظنون، ثم رأوا في أنفسهم أنهم لا يعلمون ما حال ذنوبهم عند الله فعزموا على الاجتهاد في العبادة اجتهادًا عظيمًا، فقال واحد من هؤلاء الشباب: أما أنا فلا أتزوج النساء، يبقى على العزوبة حتى يتفرَّغ للعبادة.

الثاني قال: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام.

الثالث قال: أما أنا فأصوم ولا أُفطِر، يصوم الدهر.

خرجوا من بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- فأخبره نساؤه وأهله عن حال هؤلاء الثلاثة أو الأربعة، فدعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، دعاهم ما تركهم، قال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا» قالوا: نعم، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» فهكذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- كلما رأى أمرًا قد يكون فيه مجاوزة للحدِّ الشرعي كان يُنبِّه ويُحذِّر الأمة، حتى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، فيهلكوا كما هلكوا.

رأى رجلًا يُقال له أبو إسرائيل، رآهُ قائمًا، فاستنكر قيامهُ هذا، فسأل ما شأنه؟ قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس فلا يستظِل، وأن يسكت فلا يتكلم، وأن يصوم ولا يُفطر، هذا نذر يقوم في الشمس لا يستظل، يسكت ما يتكلم، ويصوم فقال -عليه الصلاة والسلام-: «مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ» فالأشياء التي تخالف الشرع، وليست على قانون الشرع، أمرهُ أن يجتنبها، ليس في ديننا صيام عن الكلام، هذا موجود في الشرائع السابقة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ مريم: ٢٦، لكن نحن ما عندنا هذا الصوم، وكذلك التعرُّض للشمس، الله -عز وجل- غني عن إشقاء العبد نفسه، ليس في ديننا هذا، وأما الصوم فليتُمَّ الصوم؛ لأنه نذر موافق للشرع.

دخل المسجد فرأى حبلًا ممدودًا بين ساريتين، ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب تقوم الليل، فإذا تعبت يعني كأنها تعلَّقت به، فنهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عن هذا، وقال: «اكْلَفُوا مِنْ

الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» فكان النبي -عليه الصلاة والسلام- كلما رأى شيئًا من هذه المظاهر، هذه الأمور فإنه -عليه الصلاة والسلام- يُعالجها كما سمعنا.

ثم في آخر عهد الصحابة ظهرت مظاهر ممن أسلم حديثًا ودخلوا في الإسلام، حصلت منهم بدع مبعثها الغلو في دين الله -سبحانه وتعالى-، ومن ذلك مثلًا بدعة الخوارج في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج ناكِرًا بلسانه، لكن في زمن عثمان -رضي الله عنه- في آخر خلافته خرجوا خروجًا مسلَّحًا، تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى حاصروا عثمان وقتلوه -رضي الله عنه وأرضاه-، ثم خرجوا خروجًا أظهر وأجلى منه بعد التحكيم الذي وقع بعد معركة صفين التي وقعت بين علي -رضي الله عنه وأرضاه- ومعاوية -رضي الله عنه- فاختاروا حكمين لحقن الدِّماء والإصلاح بين الناس، فانعزلت طائفة كانت في جيش علي، يُعرفون بالمُحكِّمة، وكفَّروا الفريقين، لماذا كفَّروهم؟ قالوا: لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ المائدة: ٤٤، فالتحكيم يجب أن يكون تحكيم القرآن، وعليٌّ ومعاوية حكَّما الرجال، إذًا قد حكما بغير ما أنزل الله، فهما إذًا كُفَّار، فاعتزلوا المسلمين، وانحازوا إلى منطقة يُقال له حروراء، واجتهد علي -رضي الله عنه- في استصلاحهم، وأرسل إليهم ابن عباس وناقشهم، وجادلهم بالحق، ووضَّح لهم، وهدى الله من أراد له الهداية، فعاد ثلث الجيش أو أكثر، وفاءوا إلى جماعة المسلمين، والحمد لله، وبقي من بقي منهم على عقيدته الفاسدة، فمكَّن الله منهم عليًّا -رضي الله عنه وأرضاه- وجنوده.

ثم بعد ذلك، وقعت فتنة القدر في آخر زمن الصحابة، غلا قومٌ في القدر، أنكروا القدر، قالوا: لا قدر وأن الأمر أُنف، وقابلهم قومٌ غلوا في إثبات القدر، حتى قالوا: العبد مجبور على أعماله ليس له اختيار، وظهرت بدعة الغلو في إثبات الصفات، وقابلهم يعني قابل هؤلاء المُشبِّهة المُجسَّمة، الذين يزعمون أن الله -عز وجل- له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق إلى آخر ذلك، قابلهم الجهميَّة نفاة الصفات، وظهرت بدعة التصوُّف، ولم تزل البدع تكثُر في الأمة شيئًا فشيئًا إلى وقتنا الحاضر، فتلك الفرق التي وُجدت في الزمن الأول لها وجود وحضور في هذا الزمن وإن تغيرت الأسماء، لكن الأفكار موجودة، وأنصارها موجودون، ودعاتها موجودون، فالواجب على المسلم أن يحذر.

هذا الغلو نهى عنه الله -عز وجل- في كتابه الكريم، ونهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته، سمعنا آيتين من كتاب الله في أول هذه الكلمة، فيهما نهي أهل الكتاب عن الغلو: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ النساء:١٧١، وكما سبق فالنهي لهم، والنهيُ لنا أيضًا، وقال -سُبحانه وتعالى-: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ هود: ١١٢، فاستقم كما أمرت، هذا هو العدل، وهذا هو الوسط، أن تستقيم على ما أمرك الله -سبحانه وتعالى-، تستقيم على ما جاءت به السنة النبوية هذا هو الاعتدال، ثم قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ ﴾ هود: ١١٢، لا تجاوزوا الحد، ثم جاء التهديد ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ هود: ١١٢، فهذا نهي عن الغلو، ونهي عن مجاوزة الحد، لكن بلفظ غير لفظ الغلو، بلفظ النهي عن الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد، وكما

أيضًا سبقت معنا آية: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة:٢٢٩، هذا أيضًا نهي عن الغلو لكن بأسلوب آخر، بالنهي عن العدوان، بالنهي عن تعدي حدود الله، بوصف المتعدي بأنه ظالم، أعاذنا الله وإياكم.

وجاءت السنة النبوية أيضًا تنهى عن الغلو، ومن ذلك ما ثبت في مسند الإمام أحمد، وسُنن النسائي وسُنن ابن ماجه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرهُ في صبيحة يوم النحر، قال له: «الْقُطْ لِي حَصًى» حصى حتى يرمي بها جمرة العقبة، يقول: «فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ» يعني حصى كالذي يخذف به الخاذف الذي يرميه يجعل الحصى على مثلًا طرف إبهامه ثم يرمها بالوسطى، حصى صغير، فوضعها في كف النبي -صلى الله عليه وسلم- فنفضها النبي -عليه الصلاة والسلام- بيده، وقال يكلِّم الناس: «فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».

إذًا هذا حديث صحيح صريح في النهي عن الغلو.

هل النهي عن الغلو هنا مختص بالنهي عن الغلو في حصى الجمرات؟ ولا النهي عن الغلو عمومًا؟

النهي عن الغلو عمومًا، لماذا؟

لأنه كما نعرف العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، سبب الحديث حصى الجمرات، ولكن جاء اللفظ عام «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» ولاحظ قوله -

صلى الله عليه وسلم-: «فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» إذًا الغلو من أسباب الهلاك، هو ضلالة في الدنيا، وعذاب النار في الآخرة، وكفى بذلك هلاكًا.

في صحيح مسلم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» كم مرة؟ ثلاث مرات، في سنن أبي داود في زيادة لفظة: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ألا أداة تنبيه، فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يُحذِّر من التَّنطُّع وهو التَّعمُّق، وهو الغلو في دين الله -سبحانه وتعالى-، وهذا النهي عن الغلو جاء بأسلوب، ببيان عاقبة المتنطِّع، عاقبة الغالي، وهي الهلاك، هلاك في الدنيا، وهلاك في الآخرة.

كذلك أيضًا ثبت في الصحيح عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» فالنبي -عليه الصلاة والسلام- في أول هذا الحديث بيَّن أن دين الله يُسر، ثم بعد ذلك نهى عن التشدُّد والتَّعمُّق والتَّنطُّع، فقال: «وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ» كيف يعني يشاد الدين أحد؟

يعني يتجاوز الحد الشرعي، فمثلًا شخص تجاوز في باب الاجتهاد في النوافل، أخذ على نفسه أنه يقوم الليل كله، أخذ على نفسه أنه يختم القرآن في كل يوم، أخذ على نفسه مثلا أنه نذر يعتمر في كل شهر، أنه يحج في كل عام، وهكذا، هل يستطيع أن يوفِّي؟ في الغالب ما يستطيع، ولهذا سيُغلب بمعنى أنه سيترك هذه الأمور، وربما لن يقف تركه لهذه النوافل فقط، بل ربما أدَّى به الملل إلى أن

يترك حتى الفرائض والواجبات -والعياذ بالله-، وربما أيضًا يغلبه الدين من جهةٍ أخرى، يعني من جهة القدر بمعنى أن تكون هذه المبالغة عادة لا يستطيع الفكاك عنها، فيعذِّب نفسه بما هو غنيٌ عنه، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن قومًا شدَّدوا على أنفسهم، قال: «فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ» يعني في الصوامع في البيع، في معابدهم، في كنائسهم، فتلك بقاياهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد: ٢٧، فاستمروا على ما هم عليه، من الغلو والتَّنطُّع والتَّشدُّد، حرَّموا على أنفسهم ما أحله الله، وأجهدوا أنفسهم بالزيادة على دين الله -جل وعلا-.

كذلك أيضًا مما جاء النهي فيه عن الغلو، قوله -صلى الله عليه وسلم-: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي» من هما؟ قال: «إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ» أو كما قال -صلوات الله وسلامه عليه- رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط، وحسَّنهُ الألباني -رحمه الله-، «وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ» هذا اللفظ «غَالٍ مَارِقٍ»، «إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ» فإذًا عن النهي عن الغلو ببيان عقوبة من عقوبات الغالي في دين الله، وهو أنه لا يكون له نصيب في شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذه أساليب متنوعة في التحذير من الغلو وبيان خطورته.

ننتقل بعد ذلك إلى بيان أسباب الغلو، لماذا يقع بعض الناس في الغلو؟ الأسباب كثيرة، والوقت محدود، لذلك سأكتفي ببعض الأسباب، سببين أو ثلاثة:

السبب الأول: الجهل، والدليل على أن الجهل من أسباب الغلو في دين الله، أولًا تذكرون قصة القوم الذين بُعث فيهم نوح، ما الذي أوقعهم في الغلو في تلك التماثيل، في أولئك الصالحين؟

الجهل، كما في حديث ابن عباس: «حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» فإذًا الجهل من أسباب الغلو، بل هو من أعظم وأهم أسبابه.

كذلك أيضا وصف النبي -عليه الصلاة والسلام- الخوارج وهم أكثر الناس غلوًا، ولاسيما في التكفير واستحلال الدماء، قال -عليه الصلاة والسلام- عنهم: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» ما معنى لا يجاوز حناجرهم؟ قال بعض أهل العلم: يعني أن هذه القراءة قراءة باللسان فقط دون فقهٍ في القلوب، فهو يقرأ القرآن صحيح، لكن ليس في قلبه فقه صحيح لكتاب الله -جل وعلا-.

ومنهم من يقول: «لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ» بمعنى أن هذه القراءة لا تُرفع إلى الله -سبحانه وتعالى- ، فلا تُقبل ولا تُرفع إلى الله، والمعنيان متلازمان، فلما كانت هذه القراءة غير قائمة على الشرع، لم تنفع أصحابها، ولم ترفع إلى الله -جل وعلا-، فهم عندهم فهم للقرآن لكن فهم من أين؟ ما مصدره؟ مصدره أذهانهم الكاسدة، بضاعتهم الكاسدة، تصوراتهم الفاسدة، هذا هو مصدر فهمهم للقرآن الكريم.

وهنا سؤال:

لماذا يغلب على الخوارج الجهل بدين الله؟ ليش يغلب عليهم الجهل بدين الله -سبحانه وتعالى-؟ ألم يكونوا في زمن الصحابة؟! في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كانوا موجودين في ذاك الزمن الطيب الطاهر، في خير القرون على الإطلاق، فالعلم موجود، وأهل العلم موجودون، فلماذا ما تعلموا؟

الذي أوقعهم في الجهل أسباب أيضًا، لكن منها سوء ظنهم بأهل العلم، فهم يسيئون الظن بالعلماء، وإذا أساءوا بهم الظن لم يجلسوا إليهم، ولم يتعلموا منهم، فالخوارج الأولى أساءت الظن بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يلتفتوا إليهم، ولم يأخذوا عنهم، وخوارج العصر على نفس الطريقة، لا يقدِّرون العلماء، لا يحترمون العلماء، لا يُحسنون الظن بالعلماء، بل بالعكس يسيئون بهم الظن، يصفونهم بالعمالة، بالمداهنة، بالنفاق، بالخيانة، بل بالردة والكفر -والعياذ بالله- ، فكيف تنتظر منه أنه يتعلم!

إذا كان العلماء الراسخون الربانيون في نظرهم أنهم من أحطِّ الناس، ومن أسوإ الناس كيف يُنتظر منهم أن يُتلقَّوا عنهم العلم ويستفيدوا منهم!

كذلك من الأسباب التي حالت بينهم وبين التعلُّم: العُجب والغرور، فهو لما صار مجتهدًا في العبادة يقوم الليل ويختم القرآن كثيرًا، ويجتهد في الصوم، يرى نفسه أنه ما في أحد أفضل منه، وبالتالي ينظر إلى غيره نظرة احتقار، نظرة دونية، ولهذا في قصة ذي الخويصرة لما تجمع الأحاديث الواردة فيه، تجد في بعض روايات خبره أنه دخل على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال له الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «هَلْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ» لأنه دخل على الرسول وبعض أصحابه، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «هَلْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ» قال: نعم، شوف يأتي إلى مجلس فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وفيه جملة من أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- فتحدثهُ نفسه أنه ليس في هذا المجلس أحد خير منه، انظر إلى هذا العُجب!

وهكذا أحفاده ومن سار على طريقه، يغترون ويُعجبون بأنفسهم، كما قال -سبحانه وتعالى- في أهل الأهواء لما أخبر -سبحانه-: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ فاطر: ٨، فهؤلاء أهل الأهواء، تزيُّن لهم أنفسهم، تُزيِّن لهم أعمالهم، حتى يروا أنهم خير الناس، فيدخلهم العُجب والغرور، وبالتالي ينظرون إلى أهل العلم نظرة احتقار ودونيَّة، فلا يتعلمون منهم، ولا يأخذون عنهم.

وانظر اليوم واسمع كلامهم تجد نفس الأمر، يحتقرون العلماء، العلماء أهل دنيا، وأهل مناصب، وأهل قصور، وليسوا أهل جهاد، وكذا، وكذا، فلا يأخذون عنهم ولا يلتفتون إليهم، فهذه بعض الأسباب التي جعلت منهم جهلة بدين الله -سبحانه وتعالى- يقرءون القرآن، ويفسرون القرآن على حسب أهوائهم، ولهذا كما قال ابن عُمر: **"انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين، فجعلوها في المسلمين"**، آيات تتحدَّث عن الكفر جعلوها في المعاصي.

وهذا نتكلم عنه في السبب الثاني من أسباب الوقوع في الغلو، وهو اتباع المتشابه من النصوص، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧، فالمقصود أن من أسباب الغلو في دين الله -سبحانه وتعالى- اتباع المتشابه، الآيات أو الأدلة على نوعين:

نصوص مُحكمة، يعني ظاهرة المعنى، واضحة المعنى، واضحة الدِّلالة.

ونصوص متشابهة، يحصل فيها اشتباه.

ما المقصود بها، تحتاج إلى أدلة أخرى حتى توضِّحها، تحتاج أن تُردَّ إلى أصول، إلى قواعد، إلى كذا حتى يتَّضِحَ معناها، فهؤلاء في قلوبهم زيغ، يعني إيش زيغ؟ في قلوبهم هوى فيه سوء دسيسة، سوء سريرة -والعياذ بالله- لما وُجِد سوء القصد، لما وُجِد هذا القصد السَّيء، هذا الزيغ في القلب نتج عنه أنه يذهب للمتشابه يتَّبِعهُ ويترك المُحكم، ومن صور اتباع المتشابه مثلًا استدلالهم بقول الله -تعالى-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤، وجعلوها في كل حكم، في دعواهم أنه بغير ما أنزل الله، كل حكم لا يوافق ما أنزل الله، إذًا هو حكم ينطبق عليه ما دلّت عليه الآية من الكفر أن هذا الحاكم كافر، طيب لو طبقنا هذا المفهوم أنت أول من يدخل في حكمه لأنك حكمت بغير ما أنزل الله، كفَّرت المسلم بغير حق.

فالمقصود أنهم يتبعون الأدلة المتشابهة يأتي إلى النص النبوي؛ لأنه حتى السنة النبوية فيها متشابه، ليس هذا خاص بالقرآن الكريم، يأتي مثلًا عند قول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فيفهمه على أي فهم؟ على أنه كافر، خارج من الملة، فالزاني كافر، والسارق كافر، وشارب الخمر كافر، ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه كافر، وهكذا ما يبقى أحد، وهكذا أيضًا يتبعون ما تشابه من كلام بعض أهل العلم، ومن تصرفات بعض أهل العلم، ولهذا تجد واحدًا مثلًا يأتي ويُقرِّر لك أنه يُشرع للمسلم أن يتكلَّم ويطعن في الأمراء والحُكَّام وولاة الأمور، ليش؟ قال لك: لأنه فلان من السلف تكلَّم على الحاكم، فلان من السلف شارك في الفتنة في الخروج على فلان الفلاني، يأتي إلى بعض مثل هذه التصرفات وبعض الكلمات، ويدع المُحكم في

هذا الباب، ما المُحكم في هذا الباب؟ الأدلة الآمرة بالسَّمع والطاعة، الأدلة الناهية عن إعلان النصح للحاكم، الأدلة الناهية عن سبِّ الأمراء، ما قرَّرته كتب السُّنة، جيلًا بعد جيلٍ، أمةً بعد أمةٍ، وعصرًا بعد عصرٍ، كلها تنص على وجوب السمع والطاعة، وعلى ترك ما يؤدي إلى الخروج والفتنة، كل من ألَّف في السُّنة في الغالب تجده ينص على هذا الأمر، فيدعون هذه التقريرات المؤصَّلة التي توارد عليها أئمة السُّنة، ويتعلَّق بقال فلان، ولا فعل فلان، من أين نتج هذا التَّتبُّع لهذه الأمور؟من زيغ في قلبه، يعني هو اعتقد الآن، اعتقد أن مثلًا شارب الخمر كافر، إذًا يذهب يبحث عن أي شيء يتعلَّق به حتى يثبت صحة كلامه، اعتقد أولًا أنه يجوز الخروج على الحاكم المسلم إذا كان مثلًا عنده ظلم ولا جور، فيذهب يبحث ويُفتِّش بالمناقيش في الأدلة لعله يجد شيئًا يتشبَّث به، ويُشهره في وجوه الناس.

السبب الثاني من أسباب الغلو: هو اتباع المتشابه، واتباع المتشابه هو نابع عن اتباع الهوى، فسواءٌ قلنا اتباع الهوى أو قلنا اتباع المتشابه في الغالب أن المؤدى واحد، ولهذا حذَّر النبي -صلى الله عليه وسلم- ممن هذه طريقته، فقد ثبت في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تلا هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ آل عمران: ٧، إلى آخرها، ثم قال يا عائشة: «إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

كذلك أيضًا من أسباب الغلو: عدم الرجوع إلى الراسخين في العلم، وأقصد بذلك حتى يختلف عن السبب الأول الذي قلناه الجهل، يعني عدم الرجوع إليهم في النوازل الحادثة، فتقع قضية في

المجتمع شيء يتعلَّق بالسياسة، أو شيء يتعلق بمنكرات العامة، أو شي من هذا فيستقل هو برأيه، يجلس بعض الشباب بعضهم مع بعض، ها سمعتم إيش حصل في السوق الفلاني؟ سمعتم إيش القرار اللي صدر؟ ثم يتحاورون في هذا الموضوع، ويخرجون برأي، هذا جاهل والثاني أجهل منه، فخرجوا على الناس بتقريرات، وبفتاوى، ونشرات، وتغريدات، ومقالات، وفيها ربما تكفير، ولا استحلال دماء، ولا كذا وكذا -والعياذ بالله-.

مما يُبيِّن لك هذا الأمر القضية التي وقعت بعد التحكيم بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- أصحاب النّهروان رأوا أمرًا استنكروه، الله يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، ورأوا أن عليًا ومعاوية حكَّما الرجال، فقالوا: إذًا استقلوا بالحكم، إن هذا مُخالف للدين، مُخالف للشرع، مُخالف للقرآن، إذًا هذا كفر، طيب إيش كان ينبغي إذا كان عندهم توفيق من الله قبل كل شيء، وعندهم عقول، وعندهم كذا، كان ردوا العلم إلى أهله، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ النساء:٨٣، فإذًا مشكلة كثير من الشباب الغالي أنه إذا رأى شيئًا مما يستنكره في أمر سياسي، في أمر اجتماعي، في كذا فإنه مباشرة يستقل بنفسه بإصدار حكم على هذه القضية، وهذا الحكم يصدر -كما قلنا- عن جهل.

القرآن الكريم، السنة النبويَّة ما تفسَّر حسب ما يرد على الخاطِر، لا، القرآن يُفسَّر بالقرآن، يُفسَّر بالسُّنة، يُفسَّر بمقتضى لغة العرب، يُفسَّر بنصوص وتفسير الصحابة، ليس كل ما يرد على ذهنك أن

معنى هذه الآية هو كذا تذهب إليه، وتميل إليه، وتُقرِّره لا، لابد أن ترجِع وتُفسِّر القرآن، وتفسِّر السُّنة بما فسَّرها به السَّلف الأول حتى تسير على طريقتهم، وعلى سنتِّهم، لا تحيد عنها، ولا تضِل.

فهذه الآية مثلًا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤، فسَّرها ابن عباس، قال: **"ليس بالكفر الذي ينقل عن الملَّة، إنما هو كفر دون كفر"**، وهكذا فسَّرها عطاء، وهكذا فسَّرها طاووس، وغيرهم من أهل العلم.

فالكفر في الشريعة يأتي ويُراد به كفر أكبر، ويأتي الكفر في الشريعة ويُراد به كفر أصغر، ليس كله نوعًا واحدًا، وهكذا الظلم، وهكذا الفُسُوق، وهكذا النفاق، فمن لم يكن عنده تمييز فإنه سيضل في هذا الباب.

كذلك في الشريعة مسألة مهمة وهي التفريق بين التكفير العام وبين تكفير المعين، فالذي ما عنده رسوخ في العلم فيتبع المتشابه، الذي ليس عنده رُسوخ في العلم سيجعل الكفر الأصغر كفرًا أكبر، بل ربما جعل المباح كُفرًا، ما هو الكفر الأصغر، ربما كفر بشيء مباح فهذه بعض أسباب الوقوع في الغلو.

مظاهر الغلو في الحياة المعاصرة، في الواقع المعاصر، الغلو كثير يعني مظاهره، وصوره، وأنواعه كثيرة جدًا، منها على سبيل المثال: الغلو في الصالحين، من ذلك مثلًا تسمع بعض الناس يمدح النبي -صلى الله عليه وسلم- فيتجاوز الحد الشرعي في مدحه، والنبي -عليه الصلاة والسلام- نهى عنه، قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، «لَا تُطْرُونِي» لا

تُجاوزوا الحد في مدحي، فمن الناس من غلا وتجاوز الحد حتى جعل للنبي -عليه الصلاة والسلام- الدنيا والآخرة.

فإن من جودك الدنيا ودرتها ۞۞۞ ومن علومك علم اللوح والقلم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ۞۞۞ فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإذا كانت الرسل من جودها الدنيا والآخرة، وبعض علم الرسول ما في اللوح، إذًا ماذا بقي لله -سبحانه وتعالى-؟!

الدنيا والآخرة لله، وعلم الغيب لله -جل وعلا- فحين تصف المخلوق بما هو مما لله -سبحانه وتعالى- كان هذا غلوًا وإفراطًا عظيمًا، وتجاوزًا للحد.

هكذا أيضًا الغلو في أهل البيت، غلا فيهم طوائف، ناس كثير، وأول غلو فيهم كان في زمن علي -رضي الله عنه وأرضاه-، خرج من المسجد وإذا جماعة عند باب المسجد يتكلمون ويقولون: "أنت ربنا، أنت الله" يزعمون أن عليًّا هو الله -جل وعلا- فتوعدهم تهددهم أصروا على ما هم عليه، فعاقبهم عقوبة شديدة، حفر لهم أُخدود وأوقد فيها نار، وقال: "إن لم تتوبوا ألقيتكم فيها" فأصروا على إلحادهم وكُفرهم فأُلقوا في النار -والعياذ بالله-، فانظر علي -رضي الله عنه وأرضاه- ما رضي بالغُلو فيه، بل هو من أول من واجه هذا الغُلو، وعاقب أصحابه عقوبة بالغة شديدة، وابن عباس -رضي الله عنه وأرضاه- من آل البيت ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم- أيَّد عليًّا -رضي الله عنه وأرضاه- أن هؤلاء القوم يستحقون أبلغ وأشد العقوبات، ولكن خالفهُ في الطريقة؛

لأن ابن عباس يروي أنه لا يُعذب بالنار إلا ربُها، لكن اتفق ابن عباس وعليّ على أن الغالي في أهل البيت فضلًا عن غيرهم أنه مستحق للعقوبة الغليظة إذ ابلغ هذا الغلو إلى حد مكفر مخرج من الملة -والعياذ بالله-.

من هؤلاء الغلاة في أهل البيت من يدعوهم ويستغيث بهم، وحتى في غير أهل البيت كما نسمع الآن ويوجد الآن من يستغيث بالبدوي، ويستغيث بالعيدروس، ويستغيث بقبر النبي هود، ويستغيث ما أدري بمن وبمن وبمن، يجعلونهم أندادًا مع الله -سبحانه وتعالى- يناديه كما ينادي الله، يطلب منه ما يُطلب من الله -جل وعلا-، هذا يريد الشفاء من المرض، تلك تريد الزوج، تلك تريد الولد، ذاك يريد النجاح، ذاك يريد المطلب الفلاني، يطلبونها من هؤلاء المخلوقين، من هؤلاء الموتى، ومن طلب شيئًا مما يختص الله به، مما لا يقدر عليه إلا الله، فقد اتخذه شريكًا وندًّا مع الله -سبحانه وتعالى- سواء كان هذا المدعو حيًّا ولا ميتًا، كيف تطلب من مخلوق الجنة ولا النار! ولا مغفرة الذنوب! وهذه أمور لا يملكها إلا الله -سبحانه وتعالى-، فهذه صورة من صور الغلو في الصالحين.

من مظاهر الغُلو: الغُلو في التكفير الذي هو دين الخوارج، أهل السنة والجماعة عندهم تكفير ما يقولون ما في تكفير، في تكفير لكن يكفرون من؟ من كفره الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، هذا الذي يُكفره أهل السنة؛ لأن التكفير حكم لله -جل وعلا-، ليس لي ولا لك ولا لفلان ولا علان، إذا كان الله -عز وجل- هو الذي يُحل وهو الذي يُحرم، فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي

يحكم بأن فلانًا موحدٌ أو فلانًا كافرٌ، في صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

فإذًا التكفير أمر خطير، ليس أمرًا سهلًا وهينًا أن تقول فلان كافر، وهكذا فلان مبتدع، وفلان كذا فعليك أن تحذر وتنتبه إن كان هذا الشخص كما تقول نجوت وسلمت، وإن لم يكن كما تقول رجع هذا التكفير على من؟ رجع عليك، فالواجب في هذا الحذر، ولما ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- موضوع الخروج على ولاة الأمور ماذا قال؟ قال: لا، يعني لا تخرجوا «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» هذا محل الشاهد « عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» فإذًا التكفير حكم لله مرده ومرجعه كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ليس مرجعه الأهواء.

الخوارج -والعياذ بالله- غلوا في هذا الباب غلوًا عظيمًا فكفروا بالمعاصي، كفروا بأكل الربا، كفروا بشرب الخمر، كفروا بالمجاهرة بالمعاصي، كفروا بأشياء من المعاصي، أهل السنة والجماعة متى يُكفرون مثلًا شارب الخمر؟ يُكفرونه إذا استحل، إذا كان يعلم أن الخمر حرام ويستحلها، والاستحلال هذا عمل من أعمال القلوب، ما يطلع عليه إلا الله، ولهذا ربما شخص يشرب الخمر ويعتقد أنه عاصٍ مذنبٌ، هذا عاصٍ، وواحد ثانٍ ما يشرب الخمر، لكن يعتقد أنها حلال، أيهما أشد؟ الثاني أشد، الأول عاصٍ، والثاني هذا مرتدٌّ -والعياذ بالله- فالاستحلال أمر قلبي.

فهؤلاء يكفرون بالكبائر، إما كلها وإما بعضها، يعني ليس من شرط الخارجي أن يكفر بكل الكبائر، لا، ولهذا لما تقرأ في كتب الفرق وأصناف الخوارج تجد أن بعضهم ما يكفر بكل الكبائر، يكفر ببعضها، ومن خوارج اليوم من يلبس على الناس، يقول لك: نحن ما نكفر بالكبائر، لكن تجده يكفر ببعض الكبائر، يكفر مثلًا بالربا، ويكفر بالمجاهرة بالمعاصي، أو يكفر بكذا أو كذا.

من غلوهم في هذا الباب: تكفيرهم بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله، فإذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله فهو عندهم كافر مطلقًا بدون قيد، بدون شرط، بدون تفصيل في هذا الباب، وأهل السنة والجماعة يفصلون في هذا الباب: **لما هذا الحاكم حكم بغير ما أنزل الله؟**

إن كان يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله حلال، صار هذا كفرًا أكبر.

إن اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من الحكم بما أنزل الله، صار هذا كفرًا أكبر.

إن اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله مساوٍ للحكم بما أنزل الله، صار هذا كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، إما أنه يحكم بغير ما أنزل الله وهو يقول: إنني عاصٍ، وإني مخطئ وأن حكم الله يجب أن يحكم به، ولكن مراعاة لكذا ولا لكذا من الأمور فهذا عند أهل السنة والجماعة لا يكفر، وهذا معنى قول ابن عباس: **"كفر دون كفر"** وقول عطاء، وقول طاووس، وهذا الذي قرره الشيخ الألباني -رحمه الله- والشيخ ابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم من أهل العلم التفصيل في موضوع الحكم بغير ما أنزل الله على قانون السلف وعقيدة السلف في هذا الباب.

من غلو الخوارج في هذا الباب: تكفير المسلمين تكفيرًا عامًّا، بماذا؟ إذا وُجد حاكم يحكم بغير ما أنزل الله فكل من في بلد هذا الحاكم فهو كافر، وزراؤه وجنوده؛ لأنهم هؤلاء أعوان له على كفره، طيب، والرعية؟ لأنها سكتت ولم تتمرد، ولم تخرج على هذا الحاكم، إذًا هي كافرة، ولما تقرأ في كتب الخوارج والفرق تجد بعض فرق الخوارج، بعض أشخاص الخوارج، ماذا قالوا؟ قالوا: إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله في تلك اللحظة كفر كل من كان في مملكة هذا الحاكم! في شرقها في غربها، تجد هذا النص، إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله في تلك اللحظة كفر كل من كان في مملكته.

ولما تروح لـ"ظلال القرآن" في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ الأنعام:١٩، أقرأ كلام المؤلف ماذا يقول؟ يقول: ارتدت البشرية جمعاء، ارتدت البشرية جمعاء خلاص، ليش؟ لأنها في مجتمعات جاهلية ما تحكم بما أنزل الله، طيب، حتى المؤذنون؟ حتى المؤذنون، حتى المؤذن الذي يقول في اليوم ويعلن "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله" خمس مرات، يكون هو أيضًا كافرًا ما تنفعه هذه الشهادة، فانظر إلى هذا التكفير بالجملة، ارتدت البشرية جمعاء، جمعاء!

وتقرأ اليوم أيضًا في مؤلفات، وكتابات، وفتاوى، وتقريرات من تأثر بهذا الفكر الخارجي نجد نفس الأمر تكفير المسلمين؛ حكومات، ورجال أمن، ووزراء، وعلماء، وحتى شعوب ورعية ما يستثنى من هذا الحكم إلا المتكلم ومن كان على شاكلته، فهذا من التكفير، من الغلو في التكفير، من التكفير الظالم المبني على الهوى لا على أدلة الشرع.

كذلك من غلوهم في التكفير، التكفير ببعض المباحات، يعني كان الخوارج الأولون يكفرون بالكبائر تجد اليوم تقريرات ومؤلفات تقرر التكفير بأمور مباحة، من ذلك مثلًا الصلح بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة، إذا صار في صلح، في اتفاقيات بين دولة مسلمة ودولة كافرة قال لك إن هذا كفر وردة مخرج من الملة، طيب النبي -عليه الصلاة والسلام- لما قَدِمَ المدينة وقّع وثيقة بينه وبين اليهود، فيها حسن الجوار، وفيها دفاع مشترك عن المدينة.

في صلح الحديبية وقع بينه وبين مشركي قريش عهدًا وصلحًا، وفيها شروط فيها غضاضة على المسلمين، طيب كيف يكون الحاكم إذا تعاهد مع دولة كافرة يكون كافرًا، يكون مرتدًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- صالح اليهود وصالح المشركين، وكما قلنا في الحديبية كان فيه شروط فيها غضاضة على المسلمين.

فهذا التكفير الذي لا ينضبط بضوابط شرع من كتاب ولا سنة، هذا أدى إلى فساد عظيم، وإلى شرور عظيمة أُريقت بسببها دماء كثيرة، وحصلت بسببها فتن عظيمة في بلاد المسلمين.

ننتقل بعد ذلك إلى أضرار الغلو، أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الغلو من أسباب الهلاك «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» فالغلو ضلال في الدنيا عن الصراط المستقيم، وفي الآخرة من أسباب النار -والعياذ بالله-.

كذلك أيضًا الغلو من أسباب تفرق الأمة واختلافها؛ لأن هذا الغالي يكفر طائفة من المسلمين، فتحصل الفُرقة ويحصل الشقاق، تحصل الفتن في المجتمع المسلم، ودائمًا ترك شيء من الدين يؤدي

إلى هذا الفساد وإلى هذا التفرق، قال الله –تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ المائدة: ١٤، يعني تركوا ﴿ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾ المائدة: ١٤، فإذا ظهرت هذه الفرق الغالية حصل التفرق في الأمة والاختلاف وصار بأسها بينها.

وانظروا اليوم ماذا تفعل الحركات الغالية والتنظيمات الغالية في بلاد المسلمين؟ تفجيرات، واغتيالات،وتكفير، وتخوين، وفتن، ومصائب لا أول لها ولا آخر، فهذه ثمرة من الثمرات المرة لهذا الغلو.

كذلك أيضًا الغُلو في التكفير وفي الدماء، هذا يوقع الشخص الغالي في بدعة الخوارج، في عقيدة الخوارج، وإذا وقع في عقيدة الخوارج انظر إلى الأوصاف والوعيد الشديد الذي جاء في الخوارج؛ من ذلك مثلًا وصفهم بالمروق من الدين «يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ» وفي بعض ألفاظ هذا الحديث «يَمْرُقُونَ من الْإِسْلَامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ» بلفظ الإسلام.

كذلك أيضًا جاء في وصفهم أنهم شر الخلق والخليقة.

ثالثا: جاء في وصف قتلاهم بأنهم «شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ».

جاء في وصفهم أنهم كلاب النار «الْخَوَارِجُ كِلابُ النَّارِ».

جاء أيضًا في شأنهم اللعن، لعنهم عبدالله بن عمرو بن العاص، كما في حديث عقبة بن وساج، جاء إلى عبدالله بن عمرو بن العاص وبيّن له بعض الخوارج في العراق الذين يسبون الأمراء ويطعنون فيهم، فقال: **"أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".**

ولما جاء سعيد بن جهمان إلى عبدالله بن أوفى، سأله عبدالله بن أوفى: **"ما فعل أبوك؟ قال: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، فقال له سعيد: الأزارقة وحدها؟ قال: الخوارج كلها"** فهؤلاء الصحابة يلعنون الخوارج.

فالوعيد والذم جاء شديدًا جدًا في الخوارج، فالذي يغلو ويصل في غلوه إلى عقيدة الخوارج – والعياذ بالله– وطريقة الخوارج، فهو متوعد بهذا الوعيد كله، نسأل الله السلامة والعافية.

كذلك أيضًا مما جاء في النصوص في شأنهم: الأمر بقتلهم «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ» وفي لفظٍ آخر «فَإِنَّ الْمَأْجُورَ مَنْ قَتَلَهُمْ» وفي لفظ آخر «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» فإذًا هم من شر الخلق، من شر الخليقة –والعياذ بالله–، وكفى بهذا ضررًا وخطرًا ودافعًا إلى البعد عن عقيدة الخوارج وفكر الخوارج ورأي الخوارج .

ثم بعد ذلك، ما علاج الغلو؟

يؤخذ من الأسباب، من أسباب الغلو الجهل، إذًا من أهم علاجاته وأدويته العلم الشرعي "قال الله، قال رسوله" لكن بشرط أن يكون هذا التعلم على ضوء عقيدة السلف الصالح، الآن عندنا ناس يدينون بدين الخوارج وهم عندهم شهادات شرعية، ونسمعهم يقولون "قال الله وقال رسوله" لكن ما عندهم في الحقيقة التزام بعقيدة السلف الصالح، العبرة ما هو سرد الأدلة، ليست

هذه العبرة، العبرة أن يكون استدلالك بالدليل الصحيح استدلالًا صحيحًا، استدلالك بكلام العالم استدلال صحيح؛ لأن بعض الناس يأتي ببدعة، بضلالة ويستدل عليها بالقرآن الكريم، اللفظ الذي في الآية قد يحتمل هذا المعنى، لكن ليس هو المقصود بالآية، ليس هو المقصود بالحديث كما قلنا يأتي واحد ويقول لك شارب الخمر كافر، والدليل قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الحديث صحيح، وقد يلبس به على بعض الناس، لكن استدلاله بهذا الحديث غير صحيح، يأتي بعض الناس ويقرر التكفير، تكفير المسلمين بغير حق، ثم يقول لك قال محمد بن عبدالوهاب، وقال لك عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وقال لك فلان الفلاني وقال ابن تيمية، وقال ابن القيم، ويستدل بنقولات، هم أحيانًا وقد تكون هذه الأحيان كثيرة، قد يتلاعبون بهذه النصوص بمعنى يبترونها، يزيدون فيها، ينقصون منها، يحذفون منها حتى يتوافق الكلام مع تقرير المسيء، لكن أحيانًا يكون النقل صحيحًا ما تدخلوا فيه بزيادة ولا بنقص، لكن يكون كلام العالم في وادٍ واستدلالهم به في وادٍ آخر، مثال ذلك يكون اليوم محمد بن عبدالوهاب أو غيره من العلماء يتكلم عن قضية معينة عن أناس معينين فلان بن فلان وفلان بن فلان، حكم عليهم مثلًا بالكفر، ولا بالردة، ولا بشيء من الأحكام الشرعية فيأتي هذا الناقل ويجعل القضية قاعدة عامة، قضية عامة، لا ما يصح هذا التصرف، هذا من التلاعب بكلام أهل العلم، ومن التلبيس على الناس.

فإذًا العلم النافع المفيد، العلم الذي أُتي من بابه، علم الشريعة على يد الراسخين في العلم؛ لأن الراسخين في العلم ما يتبعون المتشابه، أما تروح تدرس على من ليس براسخ، فهذا يتبع المتشابه، وبالتالي هو ضال في نفسه ويضلك أيضًا معه .

من علاج الغلو: أن يكون المسلمُ حَسُنَ القصد، بمعنى أن يريد فعلًا الوصول إلى حكم الله وحكم رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وإذا كان هذا هو القصد، هذه هي السريرة، فإن صاحب هذه السريرة سيجعل القرآن أمامه، سيجعل السنة أمامه ويمشي وراءهما، أما إذا عنده دسيسة سيئة وعنده هوى فسيجعل القرآن وراء ظهره، يلوي النصوص على هواه هو ولا يتبع النص.

كذلك أيضًا من علاج الغُلو أن يقوم المعلمون، والدعاة إلى الله، وخطباء الجوامع وغيرهم أن يجتهدوا في بيان المنهج القويم، المنهج الوسط، المنهج المعتدل فنشر العلم الشرعي بين الناس، العلم الصحيح هذا من أسباب تقليل الغلو في المجتمع المسلم، وكلما ضعف بيان الحق كلما كانت هذه فرصة لزيادة الباطل ونموه.

كذلك أيضًا معالجة أوضاع الغلاة، فمن رأينا عنده غلوًا ولو في بدايته، فعلى من اطلع على أمره أن يعالجه وأن يداويه وأن يناقشه، وإذا كان ما عندك أنت علم فخذه لمن عنده علم، أحيانًا الأسرة ترى في ولدها غلوًا، عنده غلو في التكفير، عنده غلو في كذا، لكن ليس عند الأب قدرة على مناقشة ابنه، ما عنده إلا يسبه ويلعنه مثلًا، والسب واللعن هذا ما يؤدي إلى ثمرة، بل بالعكس يخلي الولد يزداد عنادًا و إصرارًا، لكن ممكن الأب يذهب إلى عالم من العلماء المعروفين ويأخذ ولده ويقول له:

ولدي هذا عنده مشكلة، فقد يعالجه العالم بما آتاه الله من العلم والبيان والحكمة، أحيانًا والله ما ينفع فيه لا عالم، ولا طالب علم، ولا إمام المسجد تنفع فيه الداخلية، فخفت من ولدك تزداد أموره شرًا وسوءًا خذه إلى الجهات المسئولة، إن شاء الله إنها ستصلح من حاله، ستوفر له من يناقشه، من يناصحه، من يعلمه، من يبين له، ستمنعه من الاختلاط برفاق السوء الذين يزينون له هذا الشر، ويخرج إليك إن شاء الله طيبًا متعافيًا ومتعالجًا مما كان فيه، فالتعاون مع الدولة، التعاون مع أهل العلم في علاج من عنده بعض هذه الإشكالات، هذه من الأسباب النافعة المفيدة في القضاء على هذه المظاهر لا سيما مظاهر الغلو.

أطلت يعني أكثر مما كنت أتوقع بكثير، لكن أعتذر منكم وأختم هذه الكلمة وهذه المحاضرة بالتذكير على خطر الغلو، وأنه مرض أفسد كثيرًا من شبابنا وأبنائنا.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يهدي ضال المسلمين، وأن يحفظنا وإياكم ويعصمنا وإياكم من الزلل.

كما نسأله -سبحانه وتعالى- أن يديم على هذه البلاد أمنها واستقرارها واجتماع كلمتها وسائر بلاد المسلمين.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

المقدم:

شكر الله لكم صاحب الفضيلة وبارك فيكم ونفعنا بما قلتم، ونستأذنك في عرض سؤالٍ واحدٍ فقط لضيق الوقت وهو متعلق بموضوع هذه المحاضرة، ألا وهو:

ما طريقة التعامل مع أخطاء أهل العلم، فإن أناسًا قد حصل منهم غلو في التعامل معها، وأناسٌ آخرون حصل منهم جفاء، فما توجيهكم سلّمكم الله؟

الجواب:

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نحن أمرنا باحترام أهل العلم، ومحبتهم، وتوقيرهم فالله -عز وجل- رفع شأن العلماء فقال -سبحانه-: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ الزمر:٩، قال -سبحانه-: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ فاطر: ٢٨، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ آل عمران: ١٨، وقال -سبحانه-: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ المجادلة: ١١، فهذه الآيات كلها تدل على رفعة شأن العلماء، والمقصود بهم علماء الشريعة ورّاث النبي -صلى الله عليه وسلم- الذين ورثوا هذا العلم، قال الله، قال رسوله -صلى الله عليه وسلم- فحق العلماء؛ علماء السنة علينا حق عظيم، نحبهم في الله، ونوقرهم في الله، ونجلهم في الله لما معهم من العلم، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود يقول -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ،

وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» فالعالم حامل القرآن، حامل السنة بلا غلو، بلا جفاء هذا له على المسلمين حق التوقير والتقدير.

والعالم ليس بمعصوم من الزلل والخطإ، العالم يخطئ، يزل، ينسى فإذا أخطأ العالم فإنا لا نتبعه في خطئه، لا نتبعه في زلته، بل نتبع الحق نتبع الدليل، فالعالم هو كما يقول بعض أهل العلم مثل النجم الذي يُهتدى به إلى القبلة، فإذا رأيت القبلة ما في داعٍ للنجم هذا، بمعنى أن العالم يدلك على قال الله، قال رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فإذا أفتى العالم بما يخالف قال الله، قال رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فأنت خذ بقال الله، قال رسوله، ودع زلة هذا العالم، ودع زلته، لكن السؤال:

هل زلة العالم تبيح لنا سبه، لعنه، شتمه، احتقاره، تنقصه، ازدراءه؟

الجواب:

لا، لو كان كل عالم يزل نسقطه ونهدر ما عنده من العلم والخير، ما الذي سيبقى؟! من العالم الذي لا يخطئ ولا يزل، من هو؟!

إذا كان الصحابي الجليل الذي صحب النبي -عليه الصلاة والسلام- أكثر مدة حياته -عليه الصلاة والسلام- يخفى عليه بعض العلم، تعرض له المسألة ما يكون عنده فيها علم حتى يسأل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يتبين له أنه أفتى بخلاف ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فما في أحد ما يحصل له من خطإ وزلل، وحسب العالم أنه إذا أخطأ أن خطأه مغفور

له وأنه مأجور على اجتهاده، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» فهو بين أجر، وأجرين -إن شاء الله-.

فزلة العالم لا تبيح ولا تسوغ الطعن فيه، وسبه، واحتقاره، والسعي في تشويه سمعته ومكانته، وصرف الناس عنه هذه جناية على الأمة، هو في الحقيقة هذا الشخص يجني على نفسه؛ لأنه يحمل ظهره أوزارًا عظيمة جدًا.

ثانيًا: يجني على الأمة حينما يحول بينها وبين الاستفادة من هذا العالم السني، فيُهدر الخير الكثير والعلم الكثير الذي عنده بسبب زلةٍ أو خطإٍ.

وأحيانًا يكون هذا الهجوم ليس عن زلل ولا عن خطإ، بل هوى في قلب هذا الطاعن -والعياذ بالله- كما يحصل من أهل الأهواء والبدع-والعياذ بالله-.

فإذًا أيها الإخوة علينا جميعًا احترام وتوقير أهل العلم، والحذر من مسالك المعتزلة، والخوارج، والصوفية هم الذين عُرفوا بسب العلماء والطعن في العلماء.

أما أهل السنة فهم جيل بعد جيل يوقرون أهل العلم ويحترمونهم، ويتقربون لله -عز وجل- بمحبتهم فيه.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.